محنة الإمام

أحمد بن محمد بن حنبل

تأليف

الحافظ تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي

المتوفى سنة ٦٠٠ هـ

تحقيق

الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي

هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر ــ المهندسين ــ جيزة
المطبعة : ٢ ش عبد الفتاح الطويل ــ أرض اللواء
ت ٣٤٧٧٧٥١ ــ ص. ب ٦٣ إمبابة

محنة الإمام

أحمد بن محمد بن حنبل

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه .
أمـــا بعـــد .

فالمحنة هي الاختبار والابتلاء ، وهي التصفية والترقية للكبار الصلحاء ، وهي مدعاة لتوجيه الأنظار إليهم والاقتداء بهم والسير على منوالهم ، في الصبر على المصائب والأرزاء ، وتخطي العقبات وتحمل النكبات في سبيل الحق ونصره .

وهي تصيب الناس أفرادا وجماعات ، فتصهر جوهرهم ، وتخلصه مما علق به من الشوائب والأدران ، وتعيده جوهرا نقيا زاكيا ، كما يصهر الذهب والفضة ليصفيا ويخلصا مما دخلهما من أجسام ومعادن غريبة ، فيعودا بعد ذلك معدنين نقيين .

والمحنة لها وجوه كثيرة وسبل متعددة ، فهي تكون امتحانا لصاحبها في صبره على القلة والفاقة بعد الغنى واليسار ، وفي تماسكه وتمسكه بالقناعة بالقليل الحلال أمام الكثرة المغرية والغنى الحرام ، وتكون في الصبر على الحرمان الدائم والفقر الملازم ، وتكون في زوال الجاه العريض والمقام الرفيع ، والوقوع إلى الإهمال والانزواء ، وتكون في مقاومة فتن الحياة ومغرياتها ،

والانسياق وراء سرابها الخلب ، وبريقها الزائف ، والانزلاق في مهاوي الشهوات من نساء ومتع وجاه وما إلى ذلك مما تحفل به الحياة من ملاذ وأطماع غير مشروعة .

وقد تكون في التمسك بالحق والدفاع عنه والاستبسال والاستشهاد في سبيله ، ومواجهة الباطل ومقارعته ولو كان مستعليا بالسلطان والأعوان ، وفي الصبر على ما ينزله أنصار الباطل بصاحب الحق من عذاب وتنكيل ، وإيذاء وتذليل ، وهذه المحنة من أصعب المحن وأشدها على النفس إن لم تكن أصعبها ، لأنها يقل فيها النصير ، ويعز فيها المؤازر لمرارة الحق ، ويكثر فيها المتزلف والمداجي لحلاوة الباطل ، وخفته على النفوس المريضة الجشعة الرخيصة الخائفة .

والممتحنون كذلك أصناف كثيرة وأنواع مختلفة ، فمنهم الذين يتهاوون أمام أول بارقة من بوارق المحنة ، فينقلبون أذلة ضارعين مستسلمين ، ومنهم الذين يؤخذون بالترغيب والحباء والتقريب والعطاء ، فيعدلون عن الحق الذي كانوا يطالبون به ويجاهدون أمامه ، حتى كأنهم اتخذوا دفاعهم عن الحق مطية إلى الوصول والترفيه ، والمغانم الموبوءة ، فتخرس منهم الألسنة وتكم منهم الأفواه .

وقليل منهم الذين يصمدون في وجوه المحن والمغريات ، والشدائد والأزمات ، ولا يقر لهم قرار ، ولا تهدأ لهم نفس إلا أن ينتصر الحق ويزهق الباطل ، فيصبرون على كل الشدائد والمؤذيات ، ويخرجون من المحنة ولأوائها أرضى ما يكونون على ما لاقوا في سبيل الحق الذي يعتقدونه ، والطاعة لله التي ينشدونها ، فلا يرون المصائب والآلام التي تحملوها وكادت تذهب منهم

بالروح والجسد إلا عنوانا لصادق عبوديتهم لله ، وصافي إخلاصهم لدينه وشرعه ، فيستلذون ما لاقوا من أنواع العذاب ، إذ كان في رضا رب الأرباب .

إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذى فوق التراب تراب

ويخرجون من المحنة مهذبين أنقياء ، محمودين أصفياء ، كما يخرج الذهب والفضة صافيين متألقين بعد إذابتهما وتصفيتهما ، لم تجرح المحنة من خلقهم ، ولم تحط من قدرهم ، ولم تفت من عزمهم ، ولم تنل من عزتهم ، ولم تطأطأ منهم الرؤوس للباطل ، أو تخرس منهم الألسنة عن الصدع بالحق ، فيخرجون من المحنة وقد غدوا قدوة الأجيال ، ومضرب الأمثال ، ونموذج الرجال الأبطال .

ولقد حفل تاريخنا المجيد وسير أعلامنا الأبرار ، بهذا الميراث النبوي المعهود، الصريح توارثه بالحديث الشريف الذي رواه سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة »[1] .

ونحوه الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : دخلت على النبي - ﷺ - وهو محموم ، فوضعت يدي من فوق القطيفة

---

(١) رواه الترمذي وصححه ، والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك .

فوجدت حرارة الحمى ، فقلت : ما أشد حماك يارسول الله ؟! قال : « إنا كذلك معشر الأنبياء ، يضاعف علينا الوجع ، ليضاعف لنا الأجر »، قال فقلت: يارسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء»، قلت: ثم من؟ قال: «العلماء»، قلت ثم من؟ قال: «ثم الصالحون»، الحديث[1].

إن الله عز وجل قد منح الأمة الإسلامية من العطاء والبركة ، وحباها من علم أبنائها وجهادهم ، ما تفخر به على غيرها من الأمم ، وإنك لتجد في سيرة كل علم من أعلامها ما يستوقفك للعظة والتدبر ، بل إن من أفرادهم ما يلفت نَظرك، أمة وحده ، ومن هذه الأمثلة الفريدة الإمام الرباني أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، الذي ضرب أروع المثل في الصبر على طلب العلم ، والإجلال لأساتذته ، وتحري الدقة والأمانة في النقل عنهم ، وفي القيام بنصر السنة ونشرها ، ثم قام داعيا للحق قامعا للبدعة ، وثبت في محنة لم يثبت لها أحد على مثاله ، فصمد فيها صابرا محتسبا ، وتحمل الأذى فلم تلن قناته ، حتى فرج الله عنه ، ثم جعل كل من آذاه في حل من أمره إلا صاحب بدعة ، وتلك غاية لا يصل إليها إلا أمثاله ، رضي الله عنه .

ولقد اشتعلت الفتنة في القول بخلق القرآن منذ عهد المأمون العباسي على يد أحمد بن أبي دؤاد ، واستفاضت أخبارها، ونقلها النقلة، وذكرها كل من ترجم للإمام أحمد-رضي الله عنه-ذكرها بعضهم عرضا ، ووزعها بعضهم على صفحات كتابه ، كأصحاب المناقب ، وجمع بعضهم أطرافها

---

(١) رواه الحاكم في « المستدرك » ٤ : ٣٠٧ ، وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ، وأقره الذهبي . وانظر : « فتح البارى » ١٠ : ١١١ .

واستقصى أخبارها، كما فعل الذهبي، في « تاريخ الإسلام »، وفي « سير أعلام النبلاء »[1] وابن كثير في « البداية والنهاية »[2]. وتاج الدين السبكي ، في « طبقات الشافعية الكبري »[3].

وأفرد بعض المصنفين هذه المحنة بمؤلفات قائمة بذاتها ، كابن عمه أبي علي حنبل بن إسحاق بن حنبل ، المتوفى سنة ٢٧٣ هـ الذي ألف كتابه « محنة ابن حنبل »[4]. والحافظ عبد الغني المقدسي ، صاحب هذا الكتاب الذي نقدم له ، وأبي طاهر إبراهيم بن أحمد بن يوسف القرشي ، الذي كتب قبل سنة ٦٦٩ هـ كتابه « فصل في امتحان أحمد بن حنبل مع أمير المؤمنين ، وقد سأله عن القرآن أمخلوق هو أو منزل » والمستشرق الأمريكى ولتر ملفيل باتون الذي كتب « أحمد بن حنبل والمحنة » وترجمة الأستاذ عبد العزيز عبد الحق[5] .

لقد امتحن الإمام أحمد بن حنبل – رضي الله عنه – بالفتنة المشهورة ، في عهد المأمون والمعتصم والواثق ، وهي القول بخلق القرآن الذي تزعمه المعتزلة ، فثبت على موقفه الحق ، وأصر على رأيه الصريح ، ولم يغير من جوابه الذى يردده كلما صحا من إغماءة التعذيب والتنكيل ، فيقول : هو كلام الله تعالى ، غير مخلوق .

ولبث في السجن عامين ونصفا ، ولما يئسوا من إخضاعه لما يريدون ،

---

(١) الجزء الحادي عشر، صفحات ٢٣٦ – ٢٨٢ .

(٢) الجزء العاشر، صفحات ٣٣١ – ٣٣٥ .

(٣) الجزء الأول ، صفحات ٢٠٥ – ٢١٧ .

(٤) وقد طبعت سنة ١٩٧٧م بتحقيق الدكتور محمد نغش .

(٥) تاريخ التراث العربي ١/ ٣/ ٢١٧ ، ٢١٨ ، ويلاحظ أن الأستاذ سزكين اعتبر كتاب باتون غير كتاب عبد العزيز عبد الحق وسمى عبد العزيز ، عليا ، والصحيح ما أثبتناه .

ودالت دولة الرأى الباطل ، أخرجوه من السجن واهي القوة مريضا مثخنا بالندوب والآلام .

ولقد بلغ الإمام أحمد في هذه المحنة قمة الصبر والثبات على الأذى ، ولم يستطع أهل الباطل أن يصرفوه عن الحق الذى آمن به ، فكانت محنته مشعل هداية للسارين ، وانتصارا رائعًا لأهل السنة الأبرار المتقين ، ولقد قيل لبشر الحافي زاهد عصره ، حين ضرب أحمد بن حنبل في المحنة : يابشر ، لو قمت فتكلمت كما تكلم أحمد ، فقال : لا أقوى عليه ، إن أحمد قد قام في ذلك مقام الأنبياء .

وما أصدق كلمة الإمام الكبير المحدث الشهير علي بن المديني في ذلك : إن الله عز وجل أيد هذا الدين بأبي بكر الصديق يوم الردة ، وبعمر ابن عبد العزيز يوم رد المظالم ، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة .

وسترى أيها القارىء في هذا الكتاب : « محنة الإمام أحمد بن حنبل » للحافظ عبد الغني المقدسي - رحمه الله - أخبار هذه المحنة ، وأحداثها ، وتتعرف على دوافعها وملابساتها ، ونتائجها وآثارها ، وما قام به الإمام المجاهد الصابر الممتحن الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - مما عجز عن القيام به غيره .

وإذا كان الله عز وجل لا يترك الناس أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، فإن في اختبار العلماء المجاهدين بالمحن ، ونصبهم مثالا للحق ، كيف يصبر ، وكيف ينتصر ، معالم هادية للمؤمنين ، تنير لهم طريق الخير ، وتسلك بهم دروب الرشاد ، وتمثل لهم المبادىء في أشخاص يحيون بها ، وتقوم بهم ، فلا يضل المؤمن بعد ذلك ولا ينسى ، ولعل فيما تزخر به محنة الإمام أحمد من

حوادث ، وما ترشح به من عظات ، وما تتضمنه من جلاء للعقيدة الصحيحة ، وثبات على الحق ، ما يكشف للعلماء الذين يقضون حياتهم بين الكتب ، ولا يتمثلون ما فيها ، حركة حية ، ونشاطا متدافعا ، عن أن العالم المسلم مكلف بأن يقف مواقف النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ما أمكنه ذلك .

إن المحنة مهما عظمت ، ومهما تعددت جوانبها ، وتلونت أشكالها ، لا تستطيع أن تقهر الرجال الكبار ، لأنهم بإيمانهم بالحق يكونون أقوى منها ، ولا تستطيع المحنة أن تغير من معدنهم ، لأن معدنهم ثابت بثبوت عقيدتهم ، وعقيدتهم تستمد قوتها من القوي العزيز ، فلا تحولهم المصائب ، ولا تضعضعهم الرزايا وأنواع البلاء ، فهم الهداة الصابرون ، المستهدون ، الذين تعلموا الصبر من سيد الأنبياء والصابرين ، ففازوا بالحسنى في الدنيا والآخرة ، فطوبى لهم وحسن مآب . أجزل الله لهم المثوبة ، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيرًا .

ووفق جميع علماء المسلمين ، إلى الوقوف عند الحق ، والصبر عليه وحسن الاتباع لسيد الصابرين وإمامهم ، وخير من دعا إلى الحق وثبت عليه سيدنا وإمامنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام ورضي الله عن صحابته خير القرون ، ومن تبعهم بإحسان من أئمة الدين القائمين بأمر الله إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

وكتبـــه

عبد الله بن عبد المحسن التركى

مؤلـف الكتـاب :

هو الإمام الحافظ تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي ابن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر المقدسي الجَمّاعيلي ، ثم الدمشقي المنشأ ، الصالحيّ الحنبلي .

ولد بجَمّاعيل – من أرض نابلس – سنة إحدى وأربعين وخمس مئة[1] .

ونُسب لبيت المقدس لقرب جَماعيل منه ، ولأن نابلس وأعمالها جميعًا من مضافات البيت المقدس[2] .

رحلته في طلب العلم :

اتجه الحافظ عبد الغني إلى طلب العلم في سن مبكرة ، وكانت له في ذلك رحلة طويلة جاب خلالها الكثير من البقاع ، وسمع فيها بدمشق ، والإسكندرية ، وبيت المقدس ، ومصر ، وبغداد ، وحَرّان ، والموصل ، وأصبهان ، وهمذان ، وغيرها . وكان ارتحاله إلى دمشق وهو صغير بعد سنة خمسين وخمس مئة ، فسمع بها من أبي المكارم بن هلال ، وسلمان بن علي الرحبي ، وأبي عبد الله محمد بن حمزة القرشي ، وغيرهم . ثم رحل إلى بغداد سنة إحدى وستين وخمس مئة ، مع ابن خاله الشيخ الموفق ، فنزلا أولًا على الشيخ عبد القادر الجيلي وكان يراعيهما ويحسن إليهما ، فقرآ عليه شيئًا من

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٥ .

(٢) معجم البلدان ٢ / ١٥٩ – ١٦٠ .

الحديث والفقه ، وسمعا بها أيضًا من أبي الفتح ابن البَطي ، وأبي بكر ابن النقّور ، وأبي زرعة طاهر بن محمد المقدسي وغيرِهم ، ثم عادا إلى دمشق[1] .

ثم رحل الحافظ إلى مصر والإسكندرية سنة ست وستين ، وأقام هناك مدة ثم عاد ، ثم رجع إلى الإسكندرية سنة سبعين ، وسمع بها من الحافظ السِّلفي وأكثر عنه ، حتى قيل : لعله سمع منه ألف جزء . وسمع بمصر من أبي محمد بن بَري النحوي وجماعة ، ثم عاد إلى دمشق ، ثم سافر بعد سنة سبعين وخمس مئة إلى أصبهان وكان قد خرج إليها وليس معه إلا قليل فلوس ، فسهل الله له من حمله وأنفق عليه حتى دخل أصبهان ، فأقام بها مدة وسمع بها الحافظَ أبا موسى المديني ، وأبا الوفاء محمود بن حَمَكا ، وأبا الفتح الخرقي ، وجماعةً غيرَهم ، ثم سمع بهمذان من عبد الرزاق بن إسماعيل القومساني ، وأبي سعيد المطهّر بن عبد الكريم ، وأبي الفرج إسماعيل بن محمد بن إسماعيل القومسانيين وغيرهم . كما سمع بالموصل من خطيبها أبي الفضل الطوسي وطائفة[2] .

ثم عاد إلى مصر ولم يزل ينسخ ويصنف ، ويحدث ويفيد المسلمين ، ويعبد الله ، حتى توفاه الله على ذلك سنة ست مئة .

وقد أخذ عن المقدسي غير واحد من العلماء فانتفعوا به وبعلمه انتفاعًا عظيمًا ، واستفادوا من حفظه وفهمه وحرصه على نشر العلم ، وحثه أهلَه

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢١ / ٤٤٤ - ٤٤٥ ، ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٥ - ٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢١ / ٤٤٤ - ٤٤٥ ، التكملة للمنذري ٢ / ١٨ - ١٩ ، ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٦ .

وطلابه على الرحلة في طلبه ، فقد قال الحافظ الضياء : كان - رحمه الله - مجتهدًا على الطلب ، يكرم الطلبة ويحسن إليهم ، وإذا صار عنده طالب يفهم ؛ أمره بالرحلة ، ويفرح لهم بسماع ما يحصلونه ، وبسببه سمع أصحابنا الكثير . وقال الإمام الذهبي : هو رحَّل ابن خليل إلى أصبهان ، ورحَّل ابنيه العز محمدًا وعبد الله إلى أصبهان - وكان عبد الله صغيرًا ، وسَفّر ابن أخته محمد بن عمر بن أبي بكر ، وابن عمه علي بن أبي بكر ، قال الضياء : وحَرّضني على السفر إلى مصر ، وسافر معنا ابنه أبو سليمان عبد الرحمان وهو ابن عشر ، فبعث معنا « المعجم الكبير » للطبراني ، وكتاب « البخاري » و « السيرة » وكتب إلى زين الدين علي بن نجا يوصيه بنا ، وسَفَّر ابن ظفر إلى أصبهان وزوَّده ، ولم يزل على هذا[1] .

وممن حدث عنه : أولاده الثلاثة الحافظ عز الدين محمد ، والحافظ أبو موسى عبد الله ، والفقيه أبو سليمان عبد الرحمان ، والحافظ الضياء ، والشيخ محمد بن أحمد اليونيني ، وأحمد بن حامد الأرتاحي ، وأبو محمد عبد القادر الرهاوي ، وخلق كثير آخرهم موتًا سعد الدين محمد بن مهلهل الجيني[2] .

مكانته العلمية :

احتل المقدسي مكانةً مرموقةً بين علماء النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، وذلك لما برع فيه من الحفظ والإتقان ، ومعرفة الأسانيد

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢١ / ٤٥٠ - ٤٥١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢١ / ٤٤٦ .

والرجال ، وعلمه بصحيح الحديث وسقيمه ، وناسخه ومنسوخه ، وغريبه ومشكله ، وفقهه ، ومعانيه ، وضبط أسماء رواته ، ومعرفة أحوالهم ....

قال عنه تلميذه الحافظ ضياء الدين المقدسي : كان شيخنا الحافظ لا يكاد يسأل عن حديث إلا ذكره وبَيّنه ، وذكر صحته أو سقمه ، ولا يسأل عن رجل إلا قال : هو فلان بن فلان الفلاني . ويذكر نسبه ، فكان أمير المؤمنين في الحديث[1] . وقال أيضًا : شاهدت بخط أبي موسى المديني على كتاب « تبيين الإصابة » الذي أملاه عبد الغني : يقول أبو موسى عفا الله عنه : قَلَّ من قدم علينا يفهم هذا الشأن كفهم الشيخ الإمام ضياء الدين[2] أبي محمد عبد الغني المقدسي ، وقد وُفق لتبيين هذه الغلطات ، ولو كان الدارقطني وأمثاله في الأحياء لَصوّبوا فِعله ، وقَلَّ من يفهم في زماننا ما فهم ، زاده الله علمًا وتوفيقًا[3] .

وكان رحمه الله يقرأ الحديث يوم الجمعة وليلة الخميس بجامع دمشق ، ويجتمع خلق وكان يقرأ ويبكي ويُبكي الناس كثيرًا ، حتى إن من حضره مرةً لا يكاد يتركه ، ولعل هذه المكانة العظيمة التي احتلها ، والشهرة الواسعة التي حازها ، كانت السبب في تعرضه لحسد الحاسدين ، وكيد الكائدين ، كما سنذكر فيما بعد .

مصنفاتـــه :

كان المقدسي – رحمه الله – لا يضيع شيئًا من زمانه بلا فائدة ، يمضي جُلّ

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢١/٤٤٨ ، ذيل طبقات الحنابلة ٢/٦-٧ .

(٢) هكذا وردت في السير مع أنه اشتهر بتقي الدين .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢١/٤٤٩ .

وقته بين العبادة والوعظ وقراءة القرآن ، وتلقين الحديث ، والنسخ ، والتصنيف ، فمصنفاته تزيد على الأربعين ، وهي في فنون عدة : في الحديث ، والفقه ، والسيرة ، والعقيدة ، والتاريخ ، والرجال ، منها : كتاب « المصباح في عيون الأحاديث الصحاح » ، و « نهاية المراد في كلام خير العباد » في السنن ، و « تحفة الطالبين في الجهاد والمجاهدين » وكتاب « التهجد » و « الفرج » ، و « الروضة » ، و « الصِّفات » ، وكتاب « محنة الإمام أحمد » - وهو الذي بين أيدينا - وكتاب « فضل الصدقة » ، وكتاب « الأقسام التي أقسم بها النبي ﷺ » ، وكتاب « الأربعين » ، بسند واحد ، وكتاب « اعتقاد الشافعي » ، وكتاب « الجامع الصغير في الأحكام » و « مناقب عمر بن عبد العزيز » ، وعدة أجزاء في « مناقب الصحابة » و « أحكامه الكبرى » و « أحكامه الصغرى » ، وكتاب « دُرر الأثر » ، وكتاب « السيرة » ، و « الأدعية الصحيحة » ، وكتاب « تبيين الإصابة لأوهام حصلت لأبي نعيم في معرفة الصحابة » وكتاب « الكمال في معرفة رجال الكتب الستة » في أربعة أسفار يروي فيه بأسانيده[1] ، ويعد الحافظ عبد الغني أول من جمع رجال الكتب الستة في مصنف واحد ، نعم ألف قبله الحافظ ابن عساكر كتابه « المعجم المشتمل على ذكر أسماء شيوخ الأئمة النُّبل » لكنه اقتصر فيه على شيوخ أصحاب الكتب الستة دون الرواة الآخرين ، أما الحافظ عبد الغني فقد تناول جميع الرواة المذكورين في هذه الكتب من الصحابة والتابعين وأتباعهم إلى شيوخ أصحاب الكتب

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢١/٤٤٧-٤٤٨ ، ذيل طبقات الحنابلة ٢/١٨-١٩ .

الستة ، ثم جاء بعده الحافظ جمال الدين المِزّي فدرس الكتاب جيدًا واستند عليه في تأليف كتاب جديد أسماه : « تهذيب الكمال في أسماء الرجال »[1]. وللحافظ عبد الغني كتب أخرى عديدة يضيق المجال عن استقصائها وذكرها جميعًا[2].

محنة المقدسي :

كان الحافظ عبد الغني - رحمه الله - متأثرًا بالإمام أحمد بن حنبل وآرائه كل التأثر ، حتى إن الضياء الحافظ قال : سمعت أبا محمد عبد الرحمان بن محمد بن عبد الجبار يقول : سمعت الحافظ يقول : سألت الله أن يرزقني مثل حال الإمام أحمد ، فقد رزقني صلاته . قال : ثم ابتلي بعد ذلك وأوذي[3]. أي أنه تعرض لمثل ما تعرض له الإمام أحمد من الأذى والابتلاء والمناظرة ، وربما كان سبب ذلك تلك المكانة العلمية العالية التي تَبوَّأها كما نبه لذلك الإمام الذهبي في ترجمته حيث قال: قال الضياء: كان الحافظ يقرأ الحديث بجامع دمشق ويجتمع عليه الخلق ، فوقع الحسد عند المخالفين ، فشرعوا يعملون لهم وقتًا لقراءة الحديث وجمعوا الناس ، فكان هذا ينام وهذا بلا قلب ، فما اشتفوا ، فأمروا الناصح أبا الفرج عبد الرحمان بن الحنبلي بأن

---

(١) انظر في تفصيل ذلك مقدمة الجزء الأول من كتاب « تهذيب الكمال » الذي تصدره مؤسسة الرسالة بتحقيق الدكتور بشار عواد .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ٢١ / ٤٤٧ - ٤٤٨ ، وذيل طبقات الحنابلة ٢ / ١٨ - ١٩ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢١ / ٤٥٨ .

يعظ تحت قبة النسر - في جامع دمشق الأموي - يوم الجمعة وقت جلوس الحافظ، فلما بلغني ذلك قلت لبعض أصحابنا: هذه مكيدة والله، فأول ذلك أن الحافظ والناصح أرادا أن يختلفا للوقت، فاتفقا على أن يجلس الناصح بعد صلاة الجمعة، وأن يجلس الحافظ بعد العصر، فدسوا إلى الناصح رجلًا ناقص العقل، فقال له في المجلس ما معناه: إنك تقول الكذب على المنبر، فضُرب وهرب، فتمت مكيدتهم، ومشوا إلى الوالي وقالوا: هؤلاء الحنابلة قصدهم الفتنة، واعتقادهم يخالف اعتقادنا - ونحو هذا - ثم جمعوا كبراءهم ومضوا إلى القلعة إلى الوالي، وقالوا: نشتهي أن تُحضر عبد الغني، فاتفق أن أرسلوا إلى الحافظ وحده فأخذوه - ولم يَدرِ أصحابنا - فناظروه، واحتدَّ، وكانوا قد كتبوا شيئًا من الاعتقاد، وكتبوا خطوطهم فيه، وقالوا له: اكتب خطك. فأبى، فقالوا للوالي: الفقهاء كلهم قد اتفقوا على شيء وهو يخالفهم، واستأذنوه في رفع منبره، فرفعوا ما في جامع دمشق من منبر وخزانة، ثم إن الحافظ ضاق صدره ومضى إلى بَعْلبَك فأقام بها مدةً، ثم توجه إلى مصر وأقام بها يُسمع الحديث بمواضع زمن الملك العادل، ثم كثر عليه المخالفون بعد سفر العادل إلى دمشق وهم ينالون منه، حتى عزم الملك الكامل على إخراجه، واعتُقل في دار سبع ليالٍ، فكان يقول بعدها: ما وجدت راحة في مصر مثل تلك الليالي. ثم كتب أهل مصر إلى الصفي بن شكر وزير العادل: إنه قد أفسد عقائد الناس، ويذكر التجسيم على رؤوس الأشهاد، فكتب إلى والي مصر بنفيه إلى المغرب، فمات الحافظ قبل وصول الكتاب[1].

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء ٢١ / ٤٥٨ وما بعدها، وذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٢٠ - ٢٥.

وقال الضياء الحافظ : سمعت أحمد بن محمد بن عبد الغني ، حدثني الشجاع بن أبي زكري الأمير ، قال : قال لي الملك الكامل يومًا : ها هنا فقيه قالوا : إنه كافر . قلت : لا أعرفه ، قال : بلى ، هو محدث ، قلت : لعله الحافظ عبد الغني ؟ قال : هذا هو ، فقلت : أيها الملك ، العلماء أحدهم يطلب الآخرة ، وآخر يطلب الدنيا ، وأنت هنا باب الدنيا ، فهذا الرجل جاء إليك أو أرسل إليك شفاعة أو ورقةً يطلب منك شيئًا ؟ قال : لا ، فقلت : هذا الرجل أرفع العلماء كما أنت أرفع الناس . فقال : جزاكَ الله خيرًا كما عَرَّفتني . ثم بعثت رقعة إليه أوصيه به ، فطلبني فجئت ، وإذا عنده شيخ الشيوخ ابن حمويه ، وعز الدين الزَّنْجاري ، فقال لي السلطان : نحن في أمر الحافظ . فقلت : أيها الملك ، القوم يحسدونه ، وهذا الشيخ بيننا - يعني شيخ الشيوخ - فحلَّفتُه : هل سمعتَ من الحافظ كلامًا يُخرج عن الإسلام ؟ فقال : لا والله ، وما سمعت عنه إلا كلَّ جميل ، وما رأيته[1] .

وقال الضياء أيضًا : سمعتُ بعض أصحابنا يقول : إن الحافظ أمر أن يكتب اعتقاده ، فكتب : أقول كذا ، لقول الله كذا ، وأقول كذا ؛ لقول الله كذا ولقول النبي ﷺ كذا .... ، حتى فرغ من المسائل التي يخالفون فيها ، فلما رآها الكامل قال : أيش أقول في هذا ؟ يقول بقول الله وقول رسول الله ﷺ[2] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢١ / ٤٦٢ ، ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٢٥-٢٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢١ / ٤٦٣ ، ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٢٦ .

وقال الحافظ ابن رجب : قرأت بخط الإمام الحافظ الذهبي : .... ولم يبدُ من الرجل أكثر مما يقوله خلق من العلماء الحنابلة والمحدثين من أن الصفات الثابتة محمولة على الحقيقة لا على المجاز ، أعني أنها تجرى على مواردها لا يعبر عنها بعبارات أخرى كما فعلته المعتزلة أو المتأخرون من الأشعرية ، هذا مع أن صفاته تعالى لا يماثلها شيء[1] .

وبكل حال فالحافظ عبد الغني من أهل الدين والعلم والتألُّه والصدع بالحق ، ومحاسنه كثيرة ، فنعوذ بالله من الهوى والمراء والعصبية والافتراء ، ونبرأ من كل مُجَسِّم ومُعطِّل[2] .

وفاتـــــه :

أورد الإمام الذهبي خبر وفاة الحافظ عبد الغني في كتابه « سير أعلام النبلاء » فقال : قال الضياء الحافظ : سمعت أبا موسى يقول : مرض أبي في ربيع الأول مرضا شديدًا منعه من الكلام والقيام ، واشتد ستة عشر يومًا ، وكنت أسأله كثيرًا : ما تشتهي ؟ فيقول : أشتهي الجنة ، أشتهي رحمة الله . لا يزيد على ذلك ، فجئته بماء حارٍ فمدَّ يده فوضَّأته وقت الفجر ، فقال : ياعبد الله ، قم صَلِّ بنا وخَفِّف ، فصليت بالجماعة ، وصلى جالسًا ، ثم جلست عند رأسه ، فقال : اقرأ يس . فقرأتها وجعل يدعو وأنا أؤمن ، فقلت : هنا دواء تشربه ؟ قال : يابني، ما بقي إلا الموت، فقلت : ما

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٢٤ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢١ / ٤٦٥ .

تشتهي شيئًا ؟ قال : أشتهي النظر إلى وجه الله سبحانه . فقلت : ما أنت عني راضٍ ؟ قال : بلى والله . فقلت : ما توصي بشيء ؟ قال : ما لي على أحد شيء ، ولا لأحد علي شيء . قلت : توصيني ؟ قال : أوصيك بتقوى الله والمحافظة على طاعته . فجاء جماعة يعودونه ، فسلموا فردّ عليهم وجعلوا يتحدثون ، فقال : ما هذا ؟! اذكروا الله ، قولوا لا إله إلا الله ، فلما قاموا جعل يذكر الله بشفتيه ، ويشير بعينيه ، فقمت لأناول رجلًا كتابًا من جانب المسجد ، فرجعت وقد خرجت روحه - رحمه الله - وذلك يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة سِت مئة ، وبقي ليلة الثلاثاء في المسجد ، واجتمع الخلق من الغد فدفَناه بالقرافة[1] .

وقد رثاه غير واحد من الأئمة ، منهم الإمام أبو عبد الله محمد بن سعد المقدسي الأديب بقصيدة طويلة مطلعها :

هذا الذي كنتُ يومَ البينِ أحْتَسبُ
فَليقضِ دَمعي عنكَ بعضَ ما يَجبُ[2] .

وأولاده : عز الدين أبو الفتح محمد ، وجمال الدين أبو موسى عبد الله ، وأبو سليمان عبد الرحمان ، ثلاثتهم من العلماء .

المقدسي وكتابه المحنة :

عرفنا مما سبق أن الحافظ عبد الغني كان شديد التأثر بإمامه أحمد بن حنبل متتبعًا لأقواله وأحواله ، وربما كان هذا ما دعاه إلى تصنيف كتاب «محنة الإمام أحمد» جمع فيه أخبار المحنة بشكل خاص ، دون التطرق إلى ذكر

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢١ / ٤٦٧ - ٤٦٨ ، وذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٢٨ - ٢٩ .

(٢) انظر القصيدة بطولها في ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٢٩ - ٣١ .

مناقب الإمام وفقهه وعلمه وزهده وغير ذلك مما ذكره الإمام ابن الجوزي في كتابه «مناقب الإمام أحمد» الذي استقصى فيه مناقب الإمام كلها بشكل موسع، وأورد أخبار المحنة في سياق عرضه لتلك المناقب، أما الحافظ عبد الغني فقد اقتصر على جمع أخبار المحنة فقط، وافتتح كتابه بسرد بعض أقوال الأئمة والعلماء فيه - كالشافعي، وعلي بن المديني، وآدم بن أبي إياس، ويحيى ابن معين، وبشر بن الحارث، وأبي زرعة الرازي وغيرهم - ثم ذكر أول ما دعا المأمون إلى المحنة، ثم ذكر محنة أبي إسحاق المعتصم له ومناظرته لابن أبي دؤاد وأصحابه، ثم ذكر حاله في سجن المعتصم، ثم ذكر محنة الواثق، ثم ذكر ما جرى له مع المتوكل ورفعه المحنة عنه وإكرامه له، ثم ذكر وفاته - رحمه الله - وبعض مارُئي به من الشعر، وبعض المنامات التي رُئيت له.

وقد ذكر الإمام الذهبي هذا الكتاب ضمن مؤلفات الحافظ عبد الغني الكثيرة التي ذكرها عندما ترجم له في كتابه «سير أعلام النبلاء» ولكنه وهم حينما قال: إنه في جزأين[1]، والصحيح أنه في ثلاثة أجزاء، وقد ذكره الحافظ ابن رجب في «ذيل طبقات الحنابلة»[2] على الوجه الصحيح.

وقد روى الحافظ أخباره في هذا الكتاب عن أكثر من عشرين من مشايخه منهم: الإمام ابن الجوزي، وأبو طاهر السلفي، وأبو عبد الله محمد ابن حمد الأرتاحي، وأبو الحسن علي بن إبراهيم بن نَجا الأنصاري، وأبو الفتح ابن البَطيّ، وأبو الفتح عبد الله بن أحمد بن أبي الفتح الخرقي... وغيرهم.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢١/٤٤٧.

(٢) ٢/١٨.

وصف النسخ الخطية للكتاب :

اعتمدنا في تحقيق الكتاب على ثلاث نسخ خطية ، هي :

١ـ نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم-٣٤٥ تاريخ-وهي مكتوبة بخط نسخي جيد يرجع إلى سنة ٦٤٢هـ. وتقع في ١٧٨ ورقة، وعدد الأسطر (١١) سطرًا في كل صفحة، ومتوسط عدد الكلمات(٧) كلمات في كل سطر، وقد رمزنا إلى هذه النسخة بالحرف (أ).

وجاء في الصفحة الأولى منها : « الجزء الأول من كتاب المحنة عن إمام أهل السنة وقائدهم إلى الجنة أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رحمة الله عليه . تأليف الشيخ الإمام العالم الأوحد الورع الزاهد الثبت الناقد الحافظ تقي الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسى رحمه الله » .

٢ ـ نسخة ألمانية محفوظة في مكتبة (رتشستاين) ـ إحدى مقاطعات برلين ـ وهي مكتوبة بخط نسخي مجوَّد، وتقع في (١٠٧) ورقات، ومسطرتها (١٥) سطرًا في كل صفحة، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر (١٠) كلمات. وقد وردت فيها أربع صفحات قد لحق الطمس بعض أسطرها، وقد رمزنا لهذه النسخة بالحرف (ب).

وجاء في الصفحة الأولى منها ما نصه : « تجربة قلم لا أفلح من ظلم ، كتاب فيه محنة الإمام الجليل أحمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه ، ورحمه وجزاه عن السنة والمسلمين خيرًا . اعتنى بجمعه وتأليفه الإمام الحافظ الورع خادم السنة ومحييها أبو محمد عبد الغني بن سرور المقدسي رضي الله تعالى

عنه ورحمه وغفر لنا وله ولجميع المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والكائن منهم إلى حين الميقات » .

٣ - نسخة هندية محفوظة في المكتبة الآصفية - بحيدر آباد الدكن - برقم (١١٩٥٣) ، وهي مكتوبة بخط نسخي في سنة ١٣١٠ هـ ، وتقع في (٦٩) ورقة من الحجم الكبير ، ومسطرتها (٢٣) سطرًا في كل صفحة ، ومتوسط عدد الكلمات (١٢) كلمة في كل سطر . ويغلب على الظن أنها قد نسخت عن أصل النسخة (أ) ، أو أنهما نُسخَتا معًا عن أصل واحد ، وذلك لشدة التقارب بينهما ، غير أن الناسخ أخطأ كثيرًا في الإسناد عند ذكر كلمتي - أخبرنا وحدثنا - فخلط بينهما ، وتكرر ذلك في أغلب صفحات الكتاب فلم نُشر له في مكانه لكثرته ، واكتفينا بالإشارة له هنا ، وقد رمزنا لهذه النسخة بالحرف (ج) .

وجاء في الصفحة الأولى منها ما نصه : « الجزء الأول من المحنة على إمام أهل السنة أحمد بن حنبل تأليف الإمام الناقد الحافظ تقي الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي رحمه الله آمين .

منهـــج التحقيـــق :

كان اعتمادنا في تحقيق الكتاب على النسخ الخطية الثلاث التي سبق وصفها ، وقد اعتمدنا نسخة دار الكتب المصرية هي الأساس لجودتها ، وقد قابلنا المنسوخ عليها وعلى النسختين الخطيتين الأخريين ، وما ورد فيهما من خلاف عنها أثبتناه في الحاشية ، ثم قمنا بضبط النص وترقيمه وتفصيله ، وتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي وردت مع ضبطها بالشكل

وإحالة الأخبار التي أوردها المصنف إلى مصادرها ، وضبط ما يشتبه من الأسماء والكُنى والأنساب والألفاظ والأماكن مع الإشارة إلى مصادر ذلك ، وشرح ما قد يشكل فهمه ومعرفته .

وقد ورد عنوان الكتاب في (آ) و (ج) : « المحنة على إمام أهل السنة أحمد ابن محمد بن حنبل » ، وورد في (ب) : « كتاب فيه محنة الإمام أحمد بن محمد بن حنبل » ، وقد اخترنا العنوان الذى ورد في (ب) لاشتهار الكتاب به ، وموافقته للمصادر التي ذكرت مصنفات الحافظ عبد الغني ومن بينها هذا الكتاب بهذا الاسم . وقُسِّم الكتاب في (آ) و (ج) إلى ثلاثة أجزاء حسب تقسيم المؤلف - وهو ما أثبتناه - أما النسخة (ب) فلم تُقَسَّم إلى أجزاء وإنما أدرج الكتاب كله في جزء واحد .

وقد عملنا لمن توفرت لدينا مصادر ترجمته من شيوخ المؤلف الذين روى عنهم في كتابه هذا ترجمةً مختصرة تَفي بغرض التعريف به من غير إسهاب ولا تطويل ، وذكرنا بعضًا من المصادر التي ترجمت لكل منهم ، ولم نُخلِ تعليقاتنا من عبارات وآراء وأقوال لبعض الأئمة العلماء ، تميط اللثام عن ما يكتنفه الغموض أو يعتريه اللَّبْس ، والغاية من ذلك أن يخرج هذا الكتاب على أحسن وجه ، وفي حُلّة مناسبة تليق بمكانة إمام عالم فاضل كالإمام أحمد بن حنبل الذي ثبت وصابر وجاهد في الحق ، سائلين المولى أن ينفع بما فيه .... والله من وراء القصد .

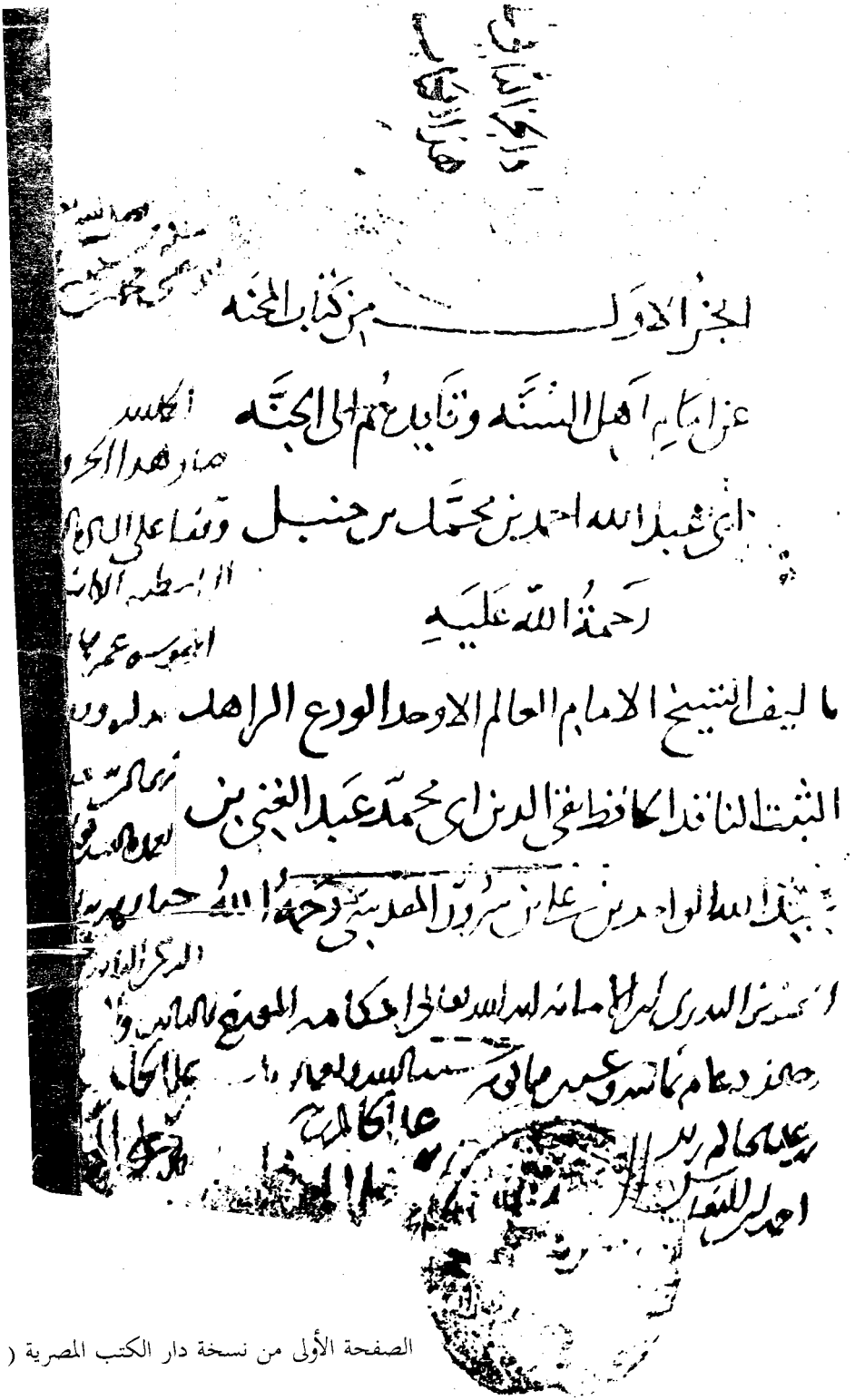

الصفحة الأولى من نسخة دار الكتب المصرية (١)

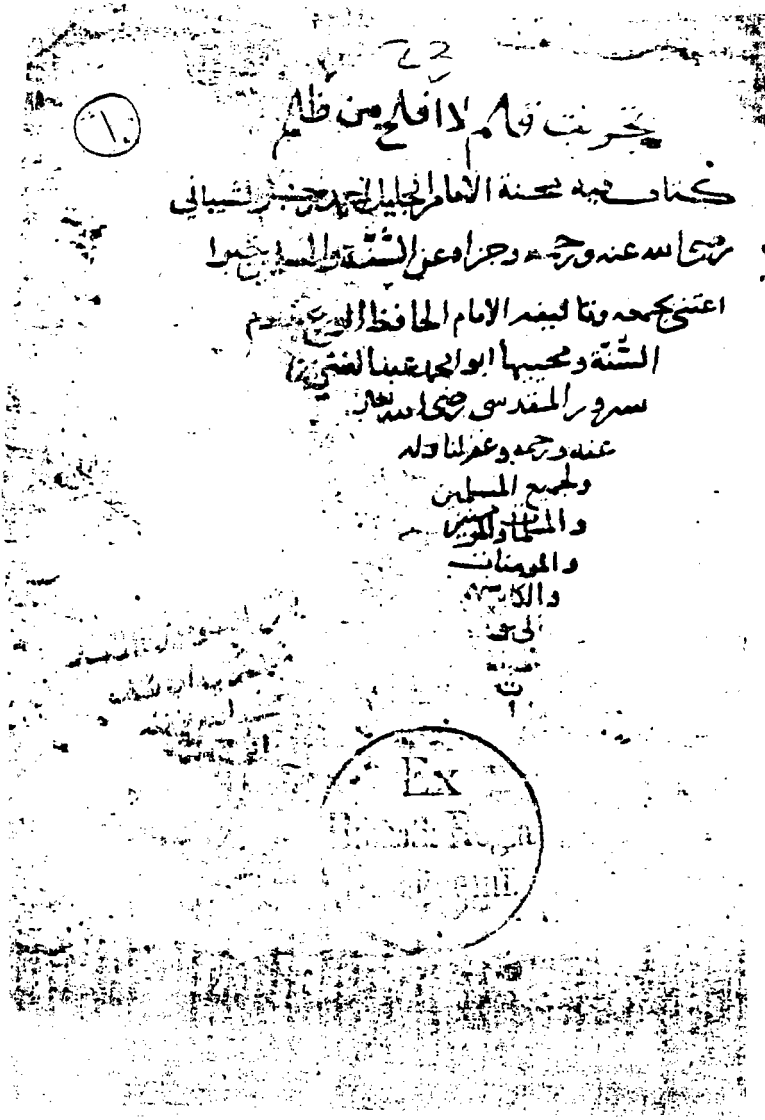

الصفحة الأولى من النسخة الألمانية (ب)

الجزء الأول من المحنة على امام اهل
السنه احمد بن حنبل تاليف الامام
الناقد الحافظ تقي الدين ابي
محمد عبد الغني بن عبد
الواحد بن علي بن سرور
المقدسي رحمه الله
امين

داخله نمبر	١١٩٥٢
فن نمبر	ق ر ٦
كتاب نمبر	

الصفحة الأولى من النسخة الهندية (ج)